مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

العدد الرابع عشر
1997

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1427 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1997 أفرنجي

النفس القومي في شعر السيد عبد المطلب الحلي

د. الدوكالي نصر

التعريف بالشاعر:

ذكره علي الخاقاني في كتاب شعراء الحلة فقال:

(هو أبو مناف السيد عبد المطلب بن داود بن المهدي بن داود بن السيد سليمان الكبير الحلي شاعر فحل وأديب جريء وناشر بليغ)[1].

وفي شأن ولادته قال عنه: (ولد بالحلة بالعراق عام 1282هـ ونشأ بها على أبيه، فعني بتربيته، ولازم ابن عمه السيد حيدر ملازمة الظل، فأدبه وثقفه، وأطلعه على كثير من أسرار الأدب العربي[2].

(1) شعراء الحلة ج3 ص196. المطبعة الحيدرية بالنجف 1953م.

(2) نفسه جزءاً وصفحة.

وقد لاحظت خلال أشعاره أنه لم ينس اليد التي قدمها ابن عمه له في حياته، فكان مثلاً بفقده، مما جعله يرثيه بثلاث قصائد حارة أعرب فيها عن لوعته وألمه بفقده.

وبعد وفاة ابن عمه ذكر لنا صاحب شعراء الحلة ما ملخصه:

أنه اتجه إلى الانشغال بالزراعة، والتزم الأرض الأميرية، فاتسعت إدارته المادية، وحصل على أرباح طائلة، ولكن الظروف القاسية عدت عليه فأذهبت ثروته بسبب المحل الذي انتاب تلك الأراضي، وانعدام المياه التي كانت تحيي كل أراضيه.

ومع ذلك فقد بقي معتزاً بكرامته ورجولته.

ولمكانته من النفوس، وتقديس الزعماء والرؤوساء لشخصه، جعلهم يتقربون لذاته، ويستميلونه بشتى الوسائل لربح أدبه، والفوز ببنات أفكاره التي غلت على أمثالهم، وقد ساندته بعض أصدقائه يوم أن قست عليه الحكومة التركية باستيفاء بعض ديونه التي تراكمت عليه من جراء محنته الزراعية، مما سجله التاريخ بأحرف من نور في سجل الوفاء والصداقة لأولئك الأصدقاء الذين كانوا معه زمن الشدة وإبان المحنة (1).

ومن الذين ترجموا له الشيخ علي كاشف الغطاء صاحب كتاب الحصون المنيعة فقال:

(هو السيد عبد المطلب بن المهدي بن سليمان بن داود بن الحسيني، شاعر معاصر، ضخم الألفاظ جزلها حر المعاني أديب فحلها شاعر شريف النسب، علي الحسب، رقيق النظم، طيب النفس، ظريف المعاشرة، لطيف المحاورة، وهو الذي جمع ديوان ابن عمه السيد حيدر ونشره)[3].

ظاهرة الحفظ عنده

تميز الشاعر بظاهرة الحفظ.

قال عنه علي الخاقاني: (إنه حفظ شعره كله عن ظهر قلب، حيث كان

---

(3) الحصون المنيعة ج3 وص 324ط الحيدرية الحنفية سنة 1956م.

يستحضره عند اللزوم، ومن الصعب أن يتأتى لغيره ذلك وكان يحفظ من شعر ابن عمه المشار إليه كما كان يحفظ من شعر مهيار الديلمي أكثره، وأكثر نتاج شعره الحماسة)[4].

وكان ذلك سبباً في رصانة أسلوبه وإحكام ديباجته، وشعره يدل على ذلك بوضوح. ومن الصفات التي كان يتميز بها:

أنه كان كثير الاستخارة، إلى درجة أنه إذا أشكل عليه بيت شعر استعان بها في أمثال ذلك، وفي كثير مما يعمل، وكان يسرف على نفسه في شرب الدخان، واحتساء أكواب القهوة، إلى درجة أنهما كانا جزءاً قوياً في حياته لا يستطيع فراقهما، مما أكسبه حدة ظهرت في شعره وسلوكه، ولعل هجاءه المقفع جعله يألف الشعراء ولا يألفونه، ويتحاشاه علماء الدين ورؤساء العشائر، ومع ذلك فقد كان يوصف بالظرافة ورقة الروح، وقد استدل علي الخاقاني على ظرافته بهذه القصة، ومجملها:

أن رجلاً من أهالي الكاظمية جاءه وطلب إليه أن ينظم له قصيدة في مدح رجل يدعى: الشيخ محمد تقي الدين أسد الله الكاظمي، وكان شاعرنا يبغضه بغضاً شديداً، ويأنف من مدحه، وقد أجابه عن ذلك شريطة أن يكون كل بيت ينظمه يقبض مقابله (مجيدياً) (1).

وطلب منه أن تكون القصيدة سبعين بيتاً، فقبض منه سبعين مجيدياً، وكان هذا القدر يشكل ثروة في ذلك العهد، ووعده أن يبعثها له عصراً، ولم يجد الشاعر بداً غير أن يخرج من الكاظمية إلى الحلة، وبعث بظرف إلى الرجل فيه ورقة، فلما وصل إليه تخيل أن فيه القصيدة، وما إنْ فتحه حتى فوجيء بورقة بيضاء لا كتابة فيها وعندها خجل الرجل وندم على ما فعل، وسار الشاعر رابحاً كرامة ومالاً (2).

هكذا قال صاحب كتاب شعراء الحلة.

وعلى الرغم أن علي الخاقاني قد وصف الشاعر في هذه القصة بالظرافة

---

(4) شعراء الحلة ج3 ص197.

وخفة الروح وأنه ربح كرامة ومالاً فإني أعلق على هذا التصرف بقولي إنه كان ينم عن حماقة وعدم وفاء بالوعد ولعل الزمرة التي كانت تزين له أفعاله، وتهواه وتهوى حديثه ونبوغه، هي التي أثرت في بعض أفعاله، وبعض تصرفاته، حتى ارتكب مثل هذه الحماقة، من نصب واحتيال وإخلال بالوعد.

وقد كان لهذه الزمرة خطرها كما يقول كتاب شعراء الحلة يقول: فهي تعادي كل من لا يتفق ورغباتها، وتتطاول على أقوى الشخصيات الاجتماعية الثرية إذا قصروا عن واجب يرونه أو هدف يحاولونه، أو خاطرة يرغبون فيها[5].

تقلبه في السياسة

قال صاحب المصدر المتقدم: «كان السيد عبد المطلب حر الضمير قوياً جريء الفكرة، انحاز إلى جبهة الديمقراطيين، فانضم إلى حزب أبي الأحرار الشيخ: ملا كاظم الخرساني المتوفى سنة 1329هـ والمتتبع لشعر عبد المطلب يرى أنه صرخ في وجه الاستبداد صرخة دوت في آذان الشرق والغرب، فهجا خصومه، وألب عليهم وآلمهم ألماً أورث فيهم حسرة وكبتاً زمناً طويلاً، وجعلهم يضجرون من لسانه وجرأته.

وكان السيد طالب النقيب خير رجل في البصرة يلعب الدور المهم في السياسة والدعاية للعرب والعروبة ضد الأتراك فذكر صاحب كتاب البابليات أن شاعرنا اتصل بهذا السياسي في البصرة، فوجد في الشاعر خير رجل يقوم بأداء رسالته ضد الأتراك في جنوب العراق، فبعثه سفيراً من عنده إلى مختلف البلاد العراقية في الجنوب واتصل بزعمائها، ومن بينهم الزعيم العراقي: ربما حيدر آل فرعون، الذي نضجت عنده هذه الفكرة، وبشر بهذه الحركة الانفصالية ضد الأتراك بما لديه من حول وقوة مستخدماً ثروته وعشيرته.

ولكن الشاعر استطاع أن يلعب على الحبلين ـ كما يقولون ـ واستعان بجبلته الخاصة في أن لا يبتعد عن أعداء الحركة الانفصالية ضد الأتراك، وكان

---

(5) نفسه جزءاً وصفحة.

يتزعمهم رجال الدين، والأعلام الذين كان لهم الأثر البارز في مجتمعهم، كما كان لهم الاتصال التام بدولة الأتراك.

وذكر صاحب البابليات أن السيد عبد المطلب استطاع أن يفهم الجانبين أنه منهما ولهما دون أن يحس به أحد فربح ربحاً موفقاً مادياً أدى به إلى الانتعاش والرفاه، وتمكن من ذيوع صيته بهذه المناسبة، فاحترمه الخصوم والأصدقاء، وخطب وده الفريقان[6].

والسيد طالب النقيب ـ المشار إليه سابقاً ـ ليس سهلاً فقد ذكر في كتاب (العراق دراسة في تطوره السياسي) تأليف: فليب وبلاره، وتعريب الأستاذ جعفر الخياط (أن نشاط النقيب وتطور حركته كافٍ لأن يفهمنا مدى ما كان يتمتع به من نفوذ واسع وشخصية مرموقة، الأمر الذي أطمحه أخيراً في اعتلاء العرش العراقي ومنافسة الملك فيصل حينما دعي لاعتلاء العرش العراقي قبل الثورة[7].

ويبدو أن السيد النقيب الذي استعان بشاعرنا في كثير من المواقف السياسية، وجد أن الحركات الانفصالية التي أخذت تظهر في الأجزاء غيرا لتركية من إمبراطورية آل عثمان، كالبوسنة والهرسك وبلغاريا وكريت ومقدونية خير دافع وحافز للمطالبة بفكرة الانفصال، وتشجيع حركة (القومية العربية) فوجد شاعرنا في هذا الجو ضالته، فأخذ ينشد الأشعار في الانتصار للعرب وللقومية العربية، وانتشرت هذه الفكرة في كثير من الأمكنة ذات الخطورة في تنمية هذا الشعور وتحقيق تلك الأمنية، وساعد على ذلك الاجتماع الذي تم للبرلمان في إستنبول الذي كان العرب يحتفظون فيه بكثير من المقاعد.

وبانتباه (لجنة الاتحاد والترقي) ومواصلتها لإبعاد هذه الروح وأمانتها، ومساعدة الإنجليز على ذلك، أخفق السيد النقيب إخفاقاً ذريعاً، وأخفق معه شاعرنا في كثير من أهدافه القومية، ورجع بذلك للانضمام إلى جانب الأتراك والوقوف في صفوفهم عندمانشبت الحرب الكونية الأولى، وساندهم بشعره مساندة تزعج العرب أحياناً.

---

(6) بتصرف عن كتاب البابليات للخاقاني ج3 ص200 ط الحيدرية سنة 1953م.

(7) العراق دراسة في تطوره السياسي ص17 تعريب جعفر الخياط.

ولعله بذلك تجنب مصادمة الأتراك، فلزم التقية، وارتكب أخف الضررين بالنسبة له، إلا أن الأتراك استطاعوا أن يستغلوه أبشع استغلال، واستغلوا أدبه وثقافته، ومع ذلك فقد كان لا يفتأ عن ذكر قومه، وإليك فاسمعه يقول في قصيدة يمدح بها الترك ويخاطب العرب طالباً منهم الترفق بإخوانهم المسلمين الأتراك.

رفقاً بإخوانكم يا عرب إنهم ... لم يغصبوا قبلها حقاً لكم وجبا
طلبتم منهم الإصلاح فارتقبوا ... فإنهم قط لم يلغوا لكم طلبا
لسوف إن ألقت الهيجا مآزرها ... عفوا ينيلونكم ما كان مرتقبا
من كان يزعم أن الترك قد رفضت ... في دورها لغة القرآن قد كذبا

ويبالغ في دعوته بني قومه لحب الأتراك قائلاً:

قد صح إسلامهم شرعاً فكل فتى ... يرى البراءة منهم ضل وانقلبا
يا شرق هل أنت بعد اليوم منتبه ... من رقدة كدت أن تلقى بها العطبا

ولعل ما كان يقوله السيد عبد المطلب في الثناء على الأتراك ما هو إلا لجوء من عداء الإنجليز الذي كان يلاقي منه الأمرين هو وصاحبه السيد النقيب السالف الذكر، وعلى الرغم من عدم الثبات والتقلب النفسي الذي يلاحظ عليه في أطوار حياته، فإنه رجل كافح الإنجليز كفاحاً مريراً، وهجاهم في كثير من القصائد مؤيداً فيها التوحيد والإسلام، وانتصر لعروبته بقصائد كان لها أثرها في ذلك الزمن، وبخاصة إزاء موقف الطليان مع العرب في طرابلس الغرب، وانضم إلى فرقة الأحرار الذين اعتبروا ذلك الوقت هم قادة الفكر الصحيح، فمن مجموع سيرته تحكم عليه أنه كان صحيح السيرة في رأيه وعقيدته وشعوره، أما إسرافه في الانضمام إلى الأتراك، فقد التمسنا له العذر في ذلك، وقد أشرنا إليه سلفاً، وفوق ذلك فمطلبه الأول هو معاضدة التوحيد على عقيدة التثليث وعبادة الطليان.

(ولما دحر الأتراك سقط في يد شاعرنا، واندحر على إثر اندحار الأتراك فرجع وقبع في بيته في الحلة، ثم انتقل بعدها إلى بيته الآخر الذي بناه في قرية

(بيرمانه) من لواء الحلة، وبقي به إلى أن توفي في 13 من شهر ربيع الأول سنة 1339هـ، ورثاه فريق من الشعراء منهم الشيخ قاسم الملا[8].

شعره وشاعريته:

لقد طرق السيد عبد المطلب معظم أغراض الشعر من مدح ورثاء وفخر وحماسة وغزل ونسيب، وحلق في أجواء السياسة فأجاد فيها، وقد تحدث عنه شيوخ الأدب وأثنوا عليه بما هو أهل له، قال عنه صاحب شعراء الحلة:

لقد وقفت على ديوانه الذي لم يقف عليه أحد إلى الآن فوجدته ضخماً عامراً.. ولو نشر لأضاف إلى الأدب أثراً له قيمته، تقرأ فيه تطور الأحوال السياسية والاجتماعية في العراق وإيران وتركيا ومختلف أرجاء العالم العربي.. ويعطيك الصورة الواضحة لمقاييس الأندية العلمية والأدبية وما يجري فيها من سجلات. ونوادر، ويصور تلك الانطباعات بأحلى أسلوب وصفي محكم[9].

والذي يقرأ شعر عبد المطلب في الرثاء يلاحظ عليه أنه يمزج الرأي بالرثاء، ويدعو للمبدأ وقت التأبين، ويصف فيه الوقائع التاريخية بأحسن الأقوال.

ومن مجموع شعره تجد الروح الثائرة، والطموح الذاتي بارزاً فيه، كما تجد المتانة والرصانة مما يذكرانه بأدب الشريف الرضى ومهيار الديلمي اللذين تأثر الشاعر بهما كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وإليك بعضاً من أشعاره التي يؤنب فيها العرب على تخاذلهم وقعودهم عن حرب الإنجليز في ثغر العراق، ويحثهم على التماسك ضد العدو الغاشم مذكراً لهم بأمجادهم السالفة.

يقول:

بني العرب العرباء من نومكم هبوا ونهضا إلى الجلّى فقد عظم الخطب

---

(8) البابليات ج3 ص202.

(9) شعراء الحلة ج3 ص203.

نكصتم وحرب الإنجليز لحربكم تقدم لا يثنيه طعن ولا ضرب
وأرسى على الثغر العراقي بغثة بعادية أضحى يضيق بها الرحب
فما حمدت منكم لدى العرب كرة تعود بجيش الكفر وصولكم نهب

ففي الأبيات السالفة يستحث العرب أن ينهضوا من نومهم فقد عظم الخطب بنومهم وتخاذلهم الذي لا يثنيه عن حربهم طعن ولا ضرب.

وها هو أيها العرب ترونه أرسى سفنه على ثغر العراق، حتى أصبحت هذه السفن يضيق بها الرحب، كل ذلك والأسلاف في انتظاركم غير حامدين لكم كرة تعود بجيش الكفر وهو لكم نهب سليب.

فمن مبلغ العرب الكرام رسالة وإن كان لا يجدي المراسيل والكتب
أبثهم من مؤلم العتب نفثة بها ضاق رحب الصدر واعتلج الكرب
سأفديكم عرباً أقاموا بخطة من الضيم لا يرضى بها الرجل الندب
يسومهم الغدارُ خطة نازل على حكمها قسراً لها زلت العرب
يجرعهم من جرع الضيم أجنا من الذل تأبى ورده السادة النجب
وما كنت أدري قبل أن تخضعوا له بأن أسود الغاب يملكها كلب
أِلفتهم قبيح الفر دأبا وعادة ومن قبلها ضرب الرقاب لكم دأب
أنوماً على جمر الهوان وقبل ذا على الضيم كنتم لا يقر لكم جنب

وفي ما مضى من الأبيات يبحث الشاعر عمن يبلغ عنه عموم العرب رسالة تبين انهزام القوم وتقصيرهم[10] مع علمه أن الرسائل والمكاتيب لا تجدي فتيلاً، ويترك الرسائل جانباً ليتحول إلى الندب والصراخ على مجد كل عربي كان لا يرضى أن يدنسه ظالم أو غاشم، ويستغرب الشاعر متسائلاً: هل يصحّ من أبناء الأسود أن تملكها الكلاب وزمرة الأوغاد؟ فعار على العربي أن يألف الفر والهرب مفارقاً بذلك عادة الأجداد الذين كان دأبهم ضرب الرقاب والأعناق، وكيف يقيم العربي على جمر الهوان، وكان لا ينام على ضيم ولا يستقر له جنب على ذل.

(10) البابليات ج3 ص204.

وقال مستنهضاً أبناء العرب وكأنه يعيش معهم اليوم[11]:

بني العرب البيض الكرام الأطايب نهوضاً لحرب الكفر من كل جانب
وزحفاً إلى طرد العدو في كتائب يضيق بها وسع الفلا والياس
بها كل مرهوب العزائم إن سطا رأيت بها ليثا حديد المخالب
ألستم بني القوم الذين سيوفهم لها أثر باق بوجه النوائب
وهم قد أزالوا عرش كسرى وزلزلوا لقيصر عرشاً مشمخر الجوانب
وهم قد أبادوا الغرب قتلا وأثبتوا وسوماً لهم في كل عتق وغارب
محاسن مجد شوهتها فعالكم وكانت جمالاً في وجوه الأعارب
وعز قديم شنتموه بحادث له يا وعاء العز بهجة كاذب
جبنتم فصرتم للأجانب مطمعا تمد إلى أوطانكم كف غاصب

ففي المقطع الأول من الأبيات تراه يحاول استنهاض الهمم العربية يحفزها لقتال الكفر، ومنازلة عقيدة التثليث، ويطلب حشد الكتائب الهائلة التي يضيق بها واسع الفلاة، واصفاً قادة الإسلام الأوائل بأنهم ليوث شرى إذا سطوا فتكوا بالعدو ونالوا منه كل هزيمة وضيم وما هذه الأوصاف المتدفقة في شعره إلا إيقاظ لحمية شباب العروبة والإسلام.

ثم يستمر الشاعر بالأسلوب نفسه في المقطع الثاني مبيناً تاريخ أمجاد العرب، وإسقاطهم أعظم إمبراطوريتين إحداهما في الشرق والأخرى في الغرب، وفوق ذلك فقد حطموا الغرب الصليبي في العصر الوسيط.

والشاعر لم يقل ذلك إلا ليتوصل إلى المخازي التي حلت بجيل اليوم، بسبب تفريطه في القضية والأمة، وتشويهه محاسن الأمجاد، ونزييفه العز القديم، حتى صار للأجانب مطمعاً وللعدو هدفاً ومغصباً.

وهذه قصيدة أخرى يعتز فيها الشاعر بعروبته.

وهي لا تحتاج إلى تعليق.

يقول:

---

(11) البابليات ج3 ص205.

العرب عرب وإن طاحوا وإن سقطوا ... وما سواهم وإن جلوا هم النبط
تراهم إن عدت للحرب عادية ... شم الأنوف بنقع الحرب تستعط[12]
لا يرحل العز إلا حيثما رحلوا ... وليس يهبط إلا أينما هبطوا
لا ينزل الضيم داراً من ديارهم ... ولا يدينون للأمر الذي سخطوا
وخطة القتل أعلى عندهم شرفاً ... إذا أديرت على خسف لها الخطط
ولا أقاموا على خسف وإن نزلت ... فيهم نوازل يضعفن القوى نشطوا
من كل مدرع بالصبر متشح ... بالعزم لفته من نقع الوغا ريط[13]
هم المصاقيع إن في محشد خطبوا ... والأسد أسد الشرى في الحرب إن نخطوا[14]
سائل به أمم العرب التي ارتفعت ... في كل وجه من حدهم شرط
وكل أشعث يوم الروع وفرته ... ليست بغير سيوف الهند تمتشط
لا يطعم العين غمضاً عند رقدته ... كأنما جفنه بالنجم مرتبط
ولا ينام على لين المهاد إذا ... بات الجنان عليه وهو ممتعط[15]
إذا الورى ارتبطوا حلوا روابطهم ... ولا تحل الورى الأمر الذي ربطوا
إن كان يفكر في العليا توسطنا ... فالله يشهد أنا أمة وسط
لا يحبط الناس في حرب دماً لهم ... وإن أراقوا دماً في معشر حبطوا

وللشاعر السيد عبد المطلب قصيدة طويلة جداً في استنهاض همم المجاهدين الطرابلسيين سنة 1911م يستحثهم فيها على قتال الغزاة الطليان حيث يفتتح قصيدته بالتشنيع على الغرب الذي ما كان إلا داعية للحرب والدمار، واصفاً له بالخداع والنفاق، يظهر ما لا يبطن، ويدعي حب السلام، وهو في الحقيقة شوكة حرب، فكم سفك من دماء شريفة، وهتك من أعراض مصونة، وأراد من العرب أن يبقوا أذلاء، وطلب لنفسه العزة والمنعة، فساء حكمه وساءت تدابيره.

(12) من استعط الدواء إذا أدخله في أنفه.
(13) ريط: جمع ريطة، وهي ملاءة ناعمة شفافة.
(14) نخطو بالحاء المهملة: من نحط الأسد إذا زفر بأنفه.
(15) بتصرف عن شعراء الحلة ج3 ص198.

أيها الغرب منك ماذا لقينا ... كل يوم تثير حربا طحونا (2)
تظهر السلم للأنام وتخفي ... تحت طي الضلوع داء دفينا
كم دماء معصومة قد سفكتم ... وهتكتم هناك عرضاً مصوناً
تأمرونا بأن نذل ويبقى ... لكم العز ساء ما تأمرونا
ونكثتم بيعة السلم غدراً ... إنما النكث عادة الغادرينا

ويتعرض الشاعر لجهل الأعداء بإباء العرب للضيم، ذاكراً لهم أن العرب أشداء عند اللقاء، لا تلين لهم عريكة، ولا يكسر لهم جناح، وهم بذلك يقتفون آثار آبائهم فهم الذين دربوهم على ضرب الرقاب وطعن الكلى والخواصر.

يقول مسترسلاً في القصيدة نفسها:

أجهلتم بأننا مذ خلقنا ... عرب ليس ينزل الضيم فينا
ولنا نبعة من العز يأبى ... عودها أن يلين للغامزينا
قد قفونا آباءنا بالمعالي ... وإليها أبناؤنا تقتفينا
علمونا ضرب الرقاب عراكا ... وعلى الطعن في الكلى دربونا
نحن قوم إذا الوغى ضرستنا ... لم نبدل بشدة البأس لينا
كلما استصعب الملم ترانا ... دون أن لا يلين مستصعبينا
وإذا ما رحى الحرب استدارت ... نحن كنا أبطالها الثابتينا
ما شربنا على الوغى مذ وردنا ... وسوى الصفو لم نكن شاربينا
لا نرى الوتر للعدا إن وترنا ... وعلى الوتر لا نغض الجفونا
ما أقمنا على الهوان بدار ... وإلى العز لم نزل ظاعنينا
أنجبتنا العلى فطبنا ظهورا ... في المعالي كما زكينا بطونا
ولدتنا الوغى ليوثا ... فكانت أماً وكنا البنينا
كفلتنا بحجرها فنشأنا ... بالظبا في حياتها كافلينا
وإذا ما نسبتنا يوم روع ... لوغى فهي أمنا وأبونا
شمل الجود شعبنا فأتلفنا ... لدفاع العدو متحدينا
واتشحنا بالعز قبل المواضي ... وانصلتنا بالصبر مدرعينا

ويخاطب إيطالياً مستصغراً جهلها بشجاعة عرب طرابلس.

فيقول:

قل لإيطاليا التي جهلتنا ... بشبات الأقدام هل عرفونا
أرأيتم ضرب المبائر إنا ... بشبا العزم دونه واثقونا
كم لنا بالواحات عندهم ثأر ... عليها الظباء ما قد بكينا
تركوها مجازراً قد بكتها ... أعين الكائنات دمعاً هتوناً
كم نساء صبراً بها قتلوها ... وأبادوا طفلاً لها وجنينا
أترى قتلهم بها كان يجدي ... لو لوجدانها قتلنا المئينا
كيف ترجو كلاب روما منا ... أن ترانا لحكمها خاضعينا
دون أن نفلق الجماجم والهام ... بضرب يأتي على الدارعينا
نبحونا مهرولين فلما ... أن زأرنا عاد النباح أنينا
حيث لم تجدها المناطيل نفعا ... كلّما حلقوا بها معتدينا
سل طرابلس التي نزلوها ... كيف ذاقوا بها العذاب المهينا
يوم صلنا عليهم صولة الأسد ... فولوا من فورهم مدبرينا
كلما بالفرار جدوا ترانا ... بالظبا في رؤوسهم لاعبينا
فوق خيل يحملن من ليوث ... لهم صيروا المواضي عرينا
من إذا طاف طائف الضيم فيهم ... جعلوا أظهر الجياد حصونا

وهكذا إذا نظرت إلى مجموع شعره وجدت فيه روحاً ثائرة لاتقبل الخسف، ولا تنام على الضيم، فطموحه ذاتي بارز، فيه نزعه كبيرة لحب آل البيت، والتفجع على سيد الشهداء الحسين بن علي رضي الله عنهما.

أما الجانب القومي فإنك ترى فيه عمقاً وقوة وحماساً للعرب والمسلمين في كل أنحاء الوطن العربي، ولا يخص بذلك وطنه العراق، وفي القصيدة السابقة وغيرها ما يؤيد الذي ذهبنا إليه، ولولا حبه للعرب والمسلمين لما كان للاستعمار الإنجليزي بعد وصايته على العراق أن يحاصر هذا المجاهد في بيته، ويعفيه من مناصبه كلّها ويلزمه بيته إلى أن ودع الحياة سنة 1339م.

فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن العروبة والإسلام خير الجزاء.

مصادر البحث

1 ـ **أعيان الشيعة**: للسيد محسن العاملي ط الحيدرية 1963م.

2 ـ **بغية الوعاه**: للسيوطي ط. عيسى البابلي الحلبي 1965م.

3 ـ **الحصون المنيعة**: الشيخ علي كاشف الغطاء ط. الحيدرية النجفية 1958م.

4 ـ **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين الذهبي ط. مصطفى البابلي الحلبي 1963م.

5 ـ **شعراء الحلة**: علي الخاقاني ط. الحيدرية 1952م.

6 ـ **العراق دراسة في تطوره السياسي**: ترجمة جعفر الخياط ط. النعمان النجفي الأشرف 1968م.

7 ـ **القاموس المحيط**: الفيروزآبادي ط. مصطفى البابلي الحلبي 1953م.